

مختصر
زاد المعاد

تأليف
الإمام محمد بن عبد الوهاب

دار الأمان للتراث
القاهرة

الطبعة الثانية
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
القاهرة

يطلب من

دار الأمان للتراث

القاهرة : ١٧٧ شارع الهرم - ت : ٥٣٦٥٩٩
مصر الجديدة : ٢٢ شارع الاندلس - خلف الميرلاند - ت : ٢٥٨٢٠١٤
الإسكندرية : سيدى بشر - طريق الكورنيش - برج رمادا - الدور الأول

مقدمة الناشر

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد. فإن كتاب زاد المعاد في خير هدى العباد من خير ما ألفه الإمام العلامة المحدث ابن القيم الجوزية ومن المعارف الرائعة التي تشهد له بالإمامة ووفرة العلم والتحرر من التقليد . وقد عرض فيه المؤلف رحمه الله صورة واضحة لسيرة الرسول ﷺ وهدية ، وتصرفاته العامة والخاصة بأسلوب بسيط وسهل ليقتدى به المسلم ويسير على منهاج النبي الكريم . ثم جاء منقذ الأمة من الضلالة شيخ الإسلام إمام الدعوة في جزيرة العرب ، فانتقى من كتاب زاد المعاد هذا المختصر الطيب ينتفع به المسلمون في شعورهم الدينية والدينية فعلى كل مسلم أن يتخذة زاداً لمعاده وقدوة لسلوكه ليحقق قوله عز وجل «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً» الأحزاب ...

ترجمة المؤلف

هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التيمي الحنبلي . ولد في بلدة (العبينة) شمال الرياض سنة ١١١٥ هـ و ١٧٠٣ م .

حفظ القرآن قبل بلوغه العاشرة . درس الفقه الحنبلي والتفسير والحديث على والده ، واعتنى بدراسة كتب شيخ الإسلام بن تيمية وابن القيم / رحمهما الله حج مكة وزار المدينة وأخذ العلم بها عن الشيخ عبد الله بن إبراهيم ، وزار البصرة والشام وأخذ العلم عن كبار علمائها وقرأ الشيخ ما با لبلاد التي وصل إليها من العقائد والعادات الفاسدة والبدع الضالة فعزم على القيام بدعوته ونادى بالرجوع إلى كتاب الله وتعاليم الرسول وحارب البدع ونادى بهدم الأضرحة والمزارات وإزالة معالمها اقتداء بما كانت عليه أيام رسول الله ولاقى الكثير من الأذى حتى جاء نصر الله وسمى بحق المجدد والمصلح .

وانتقل الشيخ المصلح محمد بن عبد الوهاب إلى جوار ربه شهر ذى القعدة سنة ١٢٠٦ هجرية خلفاً وراءه العمل الصالح رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

ترجمة الإمام ابن القيم

هو محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي ثم الدمشقي أبو عبد الله ، شمس الدين المعروف بابن قيم الجوزية .

ولد سنة ٦٩١ هـ وتربى في بيت علم وفضل وتلقى مبادئ العلوم عن أبيه وأخذ العلم عن كثير من علماء عصره ولا سيما شيخ الإسلام ابن تيمية وقد لازمه وتلمذ عليه . وقد شهد له العلماء بالتفوق في فقه الكتاب والسنة ودقائق الاستنباط منهما . وأصول الدين ، وعنى بالحديث وفنونه ورجاله قال ابن حجر عنه : كان جرى الجنان ، واسع العلم ، عارفاً بالخلاف ومذهب السلف .

وقال نعمان الألوسي البغدادى . لم أشاهد مثله في عبادته وعلمه بالقرآن والحديث وحقائق الإيمان وليس هو بالمعصوم ولكن لم أر في معناه مثله وقد امتحن وأوذى مرات وحبس مع شيخه ابن تيمية في المرة الأخيرة بالقلعة منفرداً ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ .

وقال ابن كثير : (وكان حسن القراءة والخلق كثير التودد لا يحسد أحداً ولا يؤذيه ولا يستعيبه ولا يحقد على أحد وكنت من أحب الناس له وأحب الناس إليه) .

وقال برهان الدين الزرعي (ما تحت أديم السماء أوسع علماً منه) وقد صنف تصانيف كثيرة جداً منها تهذيب سنن أبي داود . الكلم الطيب وأعلام الموقعين وبدائع الفوائد وحادح الأرواح والداء والدواء والطرق الحكيمة وإغاثة اللهفان والروح وطريق المهجرتين وغير ذلك كثير . توفي رحمه الله ليلة الخميس ١٣ رجب سنة ٧٥١ هجرية ودفن بدمشق بجوار والده في مقبرة (باب الصغير) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه الثقة والعصمة

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . وبعد : فإن الله هو المتفرد بالخلق والاختيار .
قال الله تعالى : (وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة ، سبحان
الله وتعالى عما يشركون) (١) والمراد بالاختيار : الاجتناب والاصطفاء ،
وقوله : (ما كان لهم الخيرة) ، أى : ليس هذا الاختيار إليهم ، فكما أنه
المتفرد بالخلق ، فهو المتفرد بالاختيار ، فإنه أعلم بمواقع اختياره ، كما قال
تعالى : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (٢) (وكما قال :) وقالوا لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا
بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) (٣) فأنكر
سبحانه عليهم تخييرهم ، وأخبر أن ذلك إلى الذى قسم بينهم معيشتهم ، ورفع
بعضهم فوق بعض درجات . وقوله : (سبحان الله وتعالى عما يشركون)
نزّه نفسه عما اقتضاه شركهم من اقتراحهم واختيارهم ، ولم يكن شركهم
متضمناً لإثبات خالق سواه حتى ينزه نفسه عنه . والآية المذكورة بعد قوله :
(فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين) (٤) . وكما
خلقهم اختار منهم هؤلاء ، وهذا الاختيار راجع إلى حكمته سبحانه ، وعلمه
بمن هو أهل له ، لا إلى اختيار هؤلاء واقتراحهم . وهذا الاختيار
العام من أعظم آيات ربوبيته وأكبر شواهد وحدانيته ، وصفات كماله ،
وصدق رسله .

ومن هذا اختياره من الملائكة المصطفين منهم ، كما قال النبي ﷺ :

(١) ١٠٦٨ القصص .

(٢) ١٣٠٤ الأنعام .

(٣) ٣١ الزخرف .

(٤) ٦٧ القصص .

« اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » (١) .
وكذلك اختياره سبحانه الأنبياء من ولد آدم ، واختياره الرسل منهم ، واختياره أولى العزم منهم ، وهم الخمسة المذكورون في سورتي الأحزاب والشورى (٢) واختياره منهم الخليلين : إبراهيم ومحمداً صلى الله عليهما وسلم أجمعين .
ومن هذا اختياره سبحانه ولد إسماعيل من أجناس بني آدم ، ثم اختار منهم بني كنانة من خزيمية ، ثم اختار من ولد كنانة قريشاً ، ثم اختار من قريش بني هاشم ، ثم اختار من بني هاشم سيد ولد آدم محمداً ﷺ ، واختار أمته على سائر الأمم . كما في « المسند » عن معاوية بن حيدة مرفوعاً :
« أنتم توفون (٣) سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله » .

وفي « مسند البزار » من حديث أبي الدرداء مرفوعاً : « إن الله سبحانه قال لعيسى بن مريم : إنى باعث بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا ، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ولا حلم ولا علم ، قال : يارب كيف هذا ولا حلم ولا علم ، قال : أعطيتهم من حلمي وعلمي .

فصل

اختص الله نفسه بالطيب

والمقصود أن الله اختار من كل جنس أطيبه ، فاختصهم لنفسه ، فإنه سبحانه وتعالى طيب لا يحب إلا الطيب ، ولا يقبل من القول والعمل والصدقة إلا الطيب . وبهذا يعلم عنوان سعادة العبد وشقاوته ، فإن الطيب لا يناسبه إلا الطيب ولا يرضى إلا به ، ولا يسكن إلا إليه ، ولا يطمئن قلبه إلا به . فله من الكلام الكلام الطيب الذي لا يصعد إلى الله إلا هو ،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٧٧٠) في صلاة المسافرين من حديث عائشة رضي الله عنها وأبو عوانة .

(٢) إشارة لقوله تعالى : وإذ أخذنا ٧/٩٣ وشرع لكم ١٣/٤٢ .

(٣) سند أحمد ج ٥ ص ١٥ .

وهو أشد نفرة عن الفحش في المقال والكذب والغيبة والنميمة والبهت وقول الزور وكل كلام خبيث . وكذلك لا يآلف من الأعمال إلا أطيبها ، وهي التي أجمعت على حسنها الفطر السليمة مع الشرائع النبوية ، وزكّتها العقول الصحيحة ، مثل أن يعبد الله وحده لا شريك له ، ويؤثر مرضاته على هواه ، ويتجنب إليه بجهد ، ويحسن إلى خلقه ما استطاع ، فيفعل بهم ما يحب أن يفعلوه به . وله من الأخلاق أطيبها ، كالحلم والوقار ، والصبر والرحمة ، والوفاء والصدق ، وسلامة الصدر ، والتواضع ، وصيانة الوجه عن بدل وتذلل لغير الله . وكذلك لا يختار من المطاعم إلا أطيبها ، وهو الحلال الهنيء الذي يغذي البدن والروح أحسن تغذية مع سلامة العبد من تبعته . وكذلك لا يختار من المناكح إلا أطيبها ، ومن الأصحاب إلا الطيبين . فهذا ممن قال الله فيهم : (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) (١) والذين تقول لهم خزنة الجنة (سلام عليكم طيبم فادخلوها خالدين) (٢) . وهذه القاء تقتضى السببية ، أى : بسبب طيبكم فادخلوها . وقال تعالى : (الخبيثات للخبيثين . والخبيثون للخبيثات . والطيبات للطيبين . والطيبون للطيبات . أولئك مبرثون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) (٣) . ففسرت بالكلمات الخبيثات للرجال الخبيثين ، والكلمات الطيبات للرجال الطيبين . وفسرت بالنساء الطيبات للرجال الطيبين وبالعكس ، وهى تم ذلك وغيره . والله سبحانه جعل الطيب مجذافيره في الجنة ، وجعل الخبيث مجذافيره في النار ، فدار أخلصت للطيب ، ودار أخلصت للخبيث ، ودار مزج فيها الخبيث بالطيب ، وهى هذه الدار ، فإذا كان يوم المعاد ، ميز الله الخبيث من الطيب ، فعاد الأمر إلى دارين فقط . والمقصود أن الله جعل للشقاوة وللسعادة عنواناً يعرفان به ، وقد يكون في الرجل مادتان ، فأيهما غلبت عليه كان من أهلها ، فإن أراد الله به خيراً طهره قبل الموافاة ولا يحتاج إلى تطهيره بالنار . وحكمته تعالى تأبى أن يجاوره أحد في دار

(١) ٣٢ النمل .

(٢) ٧٣ الزمر

(٣) ٢٦ النور .

نجبائه ، فيدخله النار طهيرة له ، وإقامة هذا النوع فيها على حسب سرعة زوال الخبائث وبطئها . ولما كان المشرك خبيث الذات ، لم تطهره النار ، كالكلب إذا دخل البحر . ولما كان المؤمن طيباً بريئاً من الخبائث ، كانت النار حراماً عليه ، إذ ليس فيه ما يقتضى تطهيره ، فسبحان من بهرت حكمته العقول .

فصل

في وجوب معرفة هدى الرسول

ومن ها هنا يعلم اضطراب العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به ، فإنه لا سبيل إلى الفلاح إلا على يديه ، ولا إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل إلا من جهته ، فأى حاجة فرضت وضرورة عرضت ، فضرورة العبد إلى الرسول فوقها بكثير . وما ظنك بمن إن غاب عنك هديه ، وما جاء به طرفة عين فسد قلبك ، ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حى ، وما لجرح بميت إيلام (١) . وإذا كانت السعادة معلقة بهديه ﷺ ، فيجب على كل من أحب نجاة نفسه أن يعرف هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به من خطة الجاهلين . والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

فصل

في هديه ﷺ في الوضوء

كان ﷺ يتوضأ لكل صلاة في غالب أحيانه ، وربما صلى الصلوات بوضوء واحد . وكان يتوضأ بالمد تارة وبثلثيه تارة ، وبأزيد منه تارة (٢) . وكان من أسر الناس صبياً لماء الوضوء ، ويحذر أمته من الإسراف فيه ، وصح عنه أنه توضأ مرة مرة ، ومرتين مرتين ، وثلاثاً ثلاثاً . وفي بعض مرتين ، وبعضها ثلاثاً وكان يتمضمض ويستنشق بغرفة ، وتارة بغرفتين ، وتارة بثلاث ، وكان يصل بين المضمضة والاستنشاق . وكان يستنشق باليمين

(١) عجز بيت المتنبي وصدده : من ين يسهل الهوان عليه .

(٢) المد : إناء يتسع للماء الكفين من الجيوب .

وينثر باليسرى ، وكان يمسح رأسه كله وتارة يقبل بيديه ويدبر بهما . ولم يصح أنه اقتصر على مسح بعض رأسه البتة ، ولكن كان إذا مسح على ناصيته كل على العامة ، ولم يتوضأ إلا تمضمض واستنشق ، ولم يحفظ عنه أنه أدخل بهما مرة واحدة . وقد صرح الإمام ابن القيم في أكثر من موضع من كتبه : بوجوب المضمضة والاستنشاق . وكذلك الوضوء مرتباً متوالياً ، ولم يدخل به مرة واحدة ، وكان يغسل رجله إذا لم يكونا في جوربين ، أو خفين ، ويمسح أذنيه مع رأسه ظاهرهما وباطنهما . وكل حديث في أذكار الوضوء التي تقال عليه كذب ، غير التسمية في أوله ، وقول : « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين » . في آخره . وحديث آخر في سنن النسائي « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » . ولم يكن يقول في أوله : نويت ، ولا أحد من الصحابة البتة . ولم يتجاوز الثلاث قط . وكذلك لم يثبت عنه أنه تجاوز المرفقين والكعبين . ولم يكن يعتاد تنشيف أعضائه . وكان يدخل لحيته أحياناً ولم يواظب على ذلك ، وكذلك تحليل الأصابع ولم يكن يحافظ عليه ، وأما تحريك الخاتم فروى فيه حديث ضعيف . وصح عنه أنه مسح في الحضر والسفر ، ووقت للمقيم يوماً وليلة ، وللمسافر ثلاثة أيام ولياليهن ، وكان يمسح على الجوربين (١) ، ومسح على العمامة مقتصراً عليها مع الناصية لكن يحتمل أن يكون خاصاً بحال الحاجة ويحتمل العموم وهو أظهر . ولم يكن يتكلف ضد حاله التي عليها قدماءه ، بل إن كانتا في الخفين مسح ، وإن كانتا مكشوفتين غسل . وكان يتيمم بضربة واحدة للوجه والكفين ، ويتيمم بالأرض التي يصلح عليها تراباً كانت أو سبخة أو رملاً . وصح عنه أنه قال : « حيثما أدركت رجلاً من أمتي الصلاة فعنده مسجد وطهوره » .

(١) ويظهر لمن يتتبع الأدلة أن الكثير من الشروط التي يذكرها البعض في صفة الجوربين لا مستند لها ، وإنما المسح يصح على كل جورب . والعلامة الشيخ جمال الدين القاسمي - رحمه الله - رسالة قيمة في الموضوع . طبعها الكتب الإسلامى مع ملحق قيم للمحدث الشيخ ناصر الدين الألبانى .

ولما سافر وأصحابه في غزوة تبوك قطعوا تلك الرمال ومازهم في غاية القلة ولم يرو عنه أنه حمل معه التراب ، ولا أمر به ، ولا فعله أحد من أصحابه . ومن تدبر هذا قطع بأنه كان يتيمم بالرمل . وجعله قائماً مقام الوضوء (١) .

فصل

في هديه صلى الله عليه وسلم في الصلاة

كان ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال : الله أكبر ، ولم يقل شيئاً قبلها ، ولا تلفظ بالنية ، ولا استحبه أحد من التابعين ولا الأئمة الأربعة . وكان دأبه في إحرامه لفظة : الله أكبر ، لا غيرها ، وكان يرفع يديه معها ممدودتي الأصابع مستقبلاً بهما القبلة إلى فروع أذنيه ، وروى إلى منكبيه ، ثم يضع ايمنه على ظهر اليسرى فوق الرسغ والساعد ، ولم يصح عنه موضع وضعهما ، (لكن ذكر أبو داود عن علي : من السنة وضع الكف على الكف في الصلاة تحت السرة) (٢) . وكان يستفتح تارة ب : « اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد ، اللهم نقني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس » . وتارة يقول : « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » . « اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي ، واعترفت بذنبي ، فاغفر لي ذنوبي جميعاً ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت ، لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، والشر ليس

(١) وأما الحديث المروي عن ابن عباس « من السنة أن لا يصل الرجل بالتيمم إلا صلاة واحدة » فلا تقوم به حجة ، حيث ضعف العلماء رواية : الحسن ابن عمار ، وقال عن هذا الحديث الحافظ ابن حجر في « بلوغ المرام » : ضعيف جداً . .

(٢) إن هذا السطر ليس من « زاد المعاد » وهذا الحديث ضعيف ، وإنما صح عنه صلى الله عليه وسلم على الصدر لحديث أبو داود وابن خزيمة (١/٥٤١) وأحمد وأبو الشيخ في تاريخ (اصبهان) ص ١٢٥ وصن أحد أسانيد الترمذي .

إليك ، أنا بك وإليك ، تباركت وتعاليت ، أمتغفرك وأتوب إليك .
ولكن المحفوظ أنه في قيام الليل . وتارة يقول : « اللهم رب جبريل
وميكائيل وإسرافيل ... » إلى آخره . وقد تقدم (١) . وتارة يقول : « اللهم
لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن » إلى آخره (٢) . ثم
ذكر (٣) نوعين آخرين ، ثم قال : فكل هذه الأنواع قد صححت عنه .
وروى عنه أنه كان يستفتح بـ « سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك
وتعالى جدك ، ولا إله غيرك » . ذكره أهل « السنن » والذي قبله أثبت منه .
ولكن صح عن عمر أنه يستفتح به في مقام النبي ﷺ ويجهر به ، يعلمه
الناس . قال أحمد : أذهب إلى ما روى عن عمر : ولو أن رجلاً استفتح
ببعض ما روى عن النبي ﷺ كان حسناً . وكان يقول بعد ذلك : أعوذ
بالله من الشيطان الرجيم ، ثم يقرأ الفاتحة . وكان يجهر به « بسم الله الرحمن
الرحيم » تارة ويخفيها أكثر . وكانت قراءته مدأ ، يقف عند كل آية ويمد
بها صوته ، فإذا فرغ من قراءة الفاتحة قال : « آمين » فإن كان يجهر بالقراءة
رفع بها صوته ، وقالها من خلفه . وكان له سكتان : سكتة بين التكبيرة
والقراءة ، واختلف في الثانية ، فروى (أنها) بعد الفاتحة ، وروى أنها
قبل الركوع . وقيل : بل سكتتان غير الأولى ، والظاهر أنها اثنتان فقط ،
وأما الثالثة فلطيفة ، لأجل تراد النفس ، فن لم يذكرها ، فلخصرها . فإذا
فرغ من الفاتحة أخذ في سورة غيرها ، وكان يطيلها تارة ، ويخففها لعارض
من سفر أو غيره ، ويتوسط فيها غالباً .

(١) في الصفحة رقم ٢ .

(٢) هو في « الصحيحين » ونصه كما في « صحيح مسلم » (٧٦٩) : عن ابن عباس أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل : اللهم لك الحمد
أنت نور السموات والأرض ولك الحمد ، أنت قيام السموات والأرض ، ولك الحمد ، أنت
رب السموات والأرض ومن فيهن أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك حق ،
والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ،
وإليك أبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وأخرت ، وأسررت
وأعلنت ، أنت إلهي لا إله إلا أنت .

(٣) المقصود هنا الإمام ابن القيم صاحب الأصل .

فصل

في قراءة صلاة الفجر

وكان يقرأ في الفجر بنحو ستين آية إلى مائة ، وصلاتها بـ (سورة ق) (١) وصلاتها بـ (سورة الروم) ، وصلاتها بـ (إذا الشمس كورت) (٢) وصلاتها بـ (سورة إذا زلزلت الأرض) (٣) في الركعتين كليهما ، وصلاتها بـ (المعوذتين) . وكان في السفر وصلاتها ، فاستفتح (سورة المؤمنون) حتى إذا بلغ ذكر موسى وهارون في الركعة الأولى ، أخذته سعدة فرقع . وكان يصلها يوم الجمعة بـ (آلم السجدة) و (هل أتى على الإنسان) لما اشتملتا عليه من (ذكر) المبدأ والمعاد ، وخلق آدم ، ودخول الجنة والنار ، وذكر ما كان وما يكون في يوم الجمعة ، كما كان يقرأ في الجامع العظام ، كالأعياد والجمعة بـ (سورة ق) ، و (اقربت) و (سبح) و (الغاشية) .

فصل

في هديه في القراءة في باقي الصلوات

وأما الظهر ، فكان يطيل قراءتها أحياناً ، حتى قال أبو سعيد : كانت صلاة الظهر تقام ، فيذهب الذهاب إلى البقيع ، فيقضى حاجته ، ثم يأتي أهله فيتوضأ ، ويدرك النبي ﷺ في الركعة الأولى مما يطيلها . رواه مسلم ، وكان يقرأ فيها تارة بـ (آلم تنزيل السجدة) (٤) وتارة بـ (سبح اسم ربك الأعلى) ، (والليل إذا يغشى) (٥) (والسماء ذات البروج) (٦) . وأما العصر ، فعلى النصف من قراءة الظهر إذا طالت ، وبقدرها إذا قصرت . وأما المغرب ، فكان هديه فيها خلاف عمل الناس اليوم ، فإنه صلاها مرة

(١) مسلم والترمذى .

(٢) مسلم أبو داود .

(٣) أبو داود والبيهقي بسند صحيح .

(٤) أحمد ومسلم .

(٥) و (٦) أبو داود والترمذى وصححه وكذا ابن خزيمة (٢/٦٧/١)

بـ (الأعراف) في الركعتين، ومرة بـ (الطور) (١)، ومرة بـ (المراسلات) (٢) وأما المداومة على قراءة قصار المفصل فيها ، فهو من فعل مروان (٣) ، ولهذا أنكر عليه زيد بن ثابت . قال ابن عبد البر : روى عنه أنه قرأ في المغرب بـ (المص) (٤) و بـ (الصفات) ، و بـ (الدخان) و (سبح اسم ربك الأعلى) ، و بـ (التين) (٥) و بـ (المعوذتين) و بـ (المراسلات) وأنه كان يقرأ فيها بقصار المفصل ؛ وكلها آثار صحاح مشهورة . وأما عشاء الآخرة ، فقرأ ﷺ فيها بـ (التين) (٦) ووقت لمعاذ فيها : بـ (الشمس وضحاها) و بـ (سبح اسم ربك الأعلى) ، (والليل إذا يغشى) ونحوها . وأنكر عليه قراءته فيها بـ (البقرة) وقال : « أفتان أنت يا معاذ ؟ ! فتعلق النقارون (٧) بهذه الكلمة ، ولم يلتفتوا إلى ما قبلها و ما بعدها . وأما الجمعة ، فكان يقرأ فيها بسورتي (الجمعة) و (المنافقين) (٨) وسورتي : (سبح) و (الغاشية) (٩) . وأما الأعياد ، فتارة يقرأ بـ (ق) و (اقتربت) (١٠) كاملتين ، وتارة بـ (سبح) و (الغاشية) (١١) وهذا الهدى الذي استمر عليه إلى أن لقي الله عز وجل . ولهذا أخذ به الخلفاء ، فقرأ أبو بكر (سورة البقرة) حتى سلم قريباً من طلوع الشمس (١٢) . وكان بعده عمر يقرأ فيها بـ (يوسف) و (النحل) و (هود) و (بني إسرائيل) ونحوها . وأما قوله : « أيكم أم الناس فليخفف » ، فالتخفيف أمر نسبي يرجع فيه إلى ما فعله النبي ﷺ ، لا إلى شهوات المأمومين . وهدية الذي كان يواظب عليه ، هو الحاكم في كل ما تنازع فيه المتنازعون . وكان لا يعين سورة بعينها لا يقرأ

(١) و (٢) البخارى ومسلم .

(٣) هو مروان بن الحكم . والنبي أنكر عليه المداومة . وثبت عنه صلى الله عليه وسلم بالقصار في «مسند أحمد» و «البخارى» و «مسلم» .

(٤) البخارى وأبو داود . (٥) الطبرانى والمقدسى بسند صحيح .

(٦) البخارى ومسلم والنسائى . (٧) الذين يجمعون صلاتهم كنقر الديكة ،

(٨) و (٩) و (١٠) مسلم وأبو داود .

(١٢) فقالوا له : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كادت الشمس أن تظلم !

فقال : لو طلعت لم نجدما غافلين .

إلا بها ، إلا في الجمعة والعيدين . وكان من هديه قراءة السورة ، وربما قرأها في الركعتين . وأما قراءة أواخر السور وأوساطها ، فلم يحفظ عنه . وأما قراءة السورتين في الركعة ، فكان يفعله في النافلة . وأما قراءة سورة واحدة في ركعتين معاً ، فقلما كان يفعله . وكان يطيل الركعة الأولى على الثانية من كل صلاة ، وربما كان يطيلها ، حتى لا يسمع وقع قدم .

فصل

في ركوعه صلى الله عليه وآله وسلم

فإذا فرغ من القراءة ، رفع يديه وكبر راعاً ووضع كفيه على ركبتيه كالقباض عليهما ، ووتر يديه ، فنحاهما عن جنبيه ، وبسط ظهره ومدته ، واعتدل فلم ينصب رأسه ولم يخفضه ، بل حيال ظهره . فلم ينصب رأسه ولم يخفضه ، بل حيال ظهره . وكان يقول : « سبحان رب العظيم » (١) . وتارة يقول مع ذلك ، أو مقتصراً عليه : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي » . وكان ركوعه المعتاد مقدار عشر تسييحات ، وسجوده كذلك ، وتارة يجعل الركوع والسجود بقدر القيام ، ولكن كان يفعله أحياناً في صلاة الليل وحده . فهديه الغالب تعديل الصلاة وتناسبها . وكان يقول أيضاً في ركوعه : « سبح قدوس رب الملائكة والروح » (٢) . وتارة يقول : « اللهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، خشع لك سمعي ، وبصري ، ونفسي ، وعظمي ، وعصني » (٣) . وهذا إنما حفظ عنه في قيام الليل . ثم يرفع رأسه قائلاً : « سمع الله لمن حمده » . ويرفع يديه ، وكان دائماً يقيم صلبه ، إذا رفع من الركوع ، وبين السجدين ، ويقول : « لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود » . وكان إذا استوى قال : « ربنا ولك الحمد » . وربما

(١) أحمد وأبو داود وابن ماجه .

(٢) مسلم وأبو عوانة .

(٣) مسلم .

قال : « اللهم ربنا لك الحمد » وأما الجمع بين اللهم والواو ، فلم يصح (١). وكان من هديه إطالة هذا الركن بقدر الركوع ، فصح عنه أنه كان يقول فيه : « اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض ، وملء ما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد ، لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد . (٢) . وصح عنه أنه كان يقول فيه : « اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد ، وتقي من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب » . وصح عنه أنه كرر فيه قوله : « لربي الحمد ، لربي الحمد » (٣) . حتى كان بقدر ركوعه . وذكر مسلم عن أنس : كان رسول الله ﷺ إذا قال : « سمع الله لمن حمده » قام حتى نقول : قد أوهم ، ثم يسجد ويقعد بين السجدين حتى نقول : قد أوهم . فهذا هديه المعلوم ، وتقصير هذين الركنين مما تصرف فيه أمراء بني أمية حتى ظن أنه من السنة .

فصل

ثم كان يكبر ويخر ساجداً ، ولا يرفع يديه . وكان يضع ركبتيه ثم يديه بعدهما ، ثم جبهته وأنفه . هذا هو الصحيح (٤) فكان أول ما يقع منه على الأرض الأقرب إليها فالأقرب ، وأول ما يرتفع الأعلى فالأعلى ، وإذا رفع ، رفع رأسه أول ، ثم يديه ، ثم ركبتيه ، وهكذا عكس فعل البعير . وقد نهي عن التشبه بالحيوانات في الصلاة ، فنهى عن برك كبروك البعير ، والتفات كالتفات الثعلب ، وافتراش كافتراش السبع ، وإقعاء كإقعاء الكلب ، ونقر كنقر الغراب ، ورفع الأيدي وقت السلام كأذنان الخيل الشمس . وكان يسجد على جبهته وأنفه دون كور العمامة ، ولم يثبت عنه

(١) البخارى في (٢/٢٣٤) صح عنه صل الله عليه وسلم الجمع .

(٢) مسلم وأبو عوانة .

(٣) أبو داود والنسائي بسند صحيح .

(٤) اختار الإمام مالك وضع اليدين قبل الركبتين ، وهو رواية عن الإمام أحمد وبعض أهل الحديث . وقال بعضهم . إن ركبتى البعير في يديه ، ومخالفة التشبه تقتضى تأخر الركبتين وتقديم الكفين .

وانظر تفصيل ذلك في « صفة صلاة النبي » لللاباني ص ١٤٧ .

السجود عليه ، وكان يسجد على الأرض كثيراً ، وعلى الماء والطين ، وعلى الخمرة المتخذة من خوص النخل ، وعلى الحصير المتخذ منه ، وعلى الفروة المدبوغة . وكان إذا سجد مكن جبهته وأنفه من الأرض ، ونحى يديه عن جنبيه ، وجافاهما حتى يرى بياض إبطيه ، وكان يضع يديه حذو منكبيه وأذنيه ، ويعتدل في سجوده ، ويستقبل بأطراف أصابع رجليه القبلة ، ويبسط كفيه وأصابعه ، ولا يفرج بينهما ، ولا يقبضهما . وكان يقول : « سبحان ربي الأعلى (١) » وأمر به ، ويقول : « سبحانك اللهم ربنا وبحمديك ، اللهم اغفر لي (٢) » ويقول : « سبح قدوس رب الملائكة والروح (٣) » ، وكان يقول : « اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، سجد وجهي للذي خلقه وصوره ، وشق معمه وبصره ، تبارك الله أحسن الخالقين (٤) » . وكان يقول : « اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله ، وأوله وآخره ، وعلانيته وسره (٥) » . وكان يقول : اللهم اغفر لي خطاياي وجهلي ، وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني ، اللهم اغفر لي جدي وهزلي ، وخطاياي وعمدي ، وكل ذلك عندي ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت أنت إلهي لا إله إلا أنت . وأمر بالاجتهاد في الدعاء والسجود ، وقال : « إنه قن أن يستجاب لكم » .

فصل

ثم يرفع رأسه مكبراً غير رافع يديه ، ثم يجلس مفترشاً يفتش اليسرى ، ويجلس عليها ، وينصب اليمنى ، ويضع يديه على فخذه ، ويجعل حد مرفقيه على فخذه ، وطرف يديه على ركبتيه ، وقبض اثنين من أصابعه ، وحلقه حلقه ، ثم رفع إصبعه يدعو بها ، ولا يحركها ، ثم يقول : اللهم اغفر لي وارحمني ، واجبرني ، واهدني ، وارزقني ، هكذا ذكره ابن عباس عنه . وذكر حذيفة عنه أنه كان يقول : اللهم اغفر لي ، ثم ينهض على صدره

(١) أحمد وأبو داود وابن ماجه

(٢) البخاري ومسلم .

(٣) مسلم وأبو عوانه .

(٤) مسلم .

(٥) مسلم .

قدميه وركبتيه ، معتمداً على فخذه ، فإذا نهض افتتح القراءة ولم يسكت ، كما يسكت عند الاستفتاح . ثم يصلي الثانية كالأولى إلا في أربعة أشياء : السكوت والاستفتاح ، وتكبيرة الإحرام ، وتطويلها . فإذا جلس للتشهد ، وضع يده اليسرى على فخذه الأيسر ، ويده اليمنى على فخذه الأيمن ، وأشار بالسبابة ، وكان لا ينصبها نصباً ، ولا يقيمها ، بل يحنيها شيئاً يسيراً ، ولا يحركها ، ويرفعها يدعو بها ، ويرمى بصره إليها ، وييسط اليسرى ، ويتحامل عليها . وأما صفة جلوسه ، فكما تقدم بين السجدين سواء . وأما حديث ابن الزبير الذي رواه مسلم : كان إذا قعد في الصلاة جعل قدمه الأيسر بين فخذه وساقه ، وفرش قدمه الأيمن ، فهذا في التشهد الأخير . ذكر ابن الزبير أنه يفرش اليمن ، وذكر أبو حميد أنه ينصبها ، وهذا والله أعلم ليس باختلاف ، فإنه كان لا يجلس عليها ، بل يخرجها عن يمينه ، فتكون بين المنصوبة والمفروثة ، ويقال : كان يفعل هذا وهذا ، فكان ينصبها ، وربما فرشها أحياناً ، وهو أروح . ثم كان يتشهد دائماً بهذه الجلسة ، ويعلم أصحابه أن يقولوا : التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . وكان يخففه جداً كأنه على الرضف (١) ، ولم ينقل عنه حديث قط أنه كان يصلي عليه وعلى آله فيه ، ولا يستعيد فيه من عذاب القبر ، وعذاب جهنم ، وفتنة الحيا والممات ، وفتنة المسيح الدجال ومن استحبه فلإنما فهمه من عمومات قد تبين وضعها وتعددتها في التشهد الأخير . ثم كان ينهض مكبراً على صدور قدميه ، ويديه على ركبتيه معتمداً على فخذه . وفي « صحيح مسلم » وبعض طرق البخارى ، أنه كان يرفع يديه في هذا الموضع ، ثم كان يقرأ الفاتحة وحدها ، ولم يثبت عنه أنه قرأ في الأخيرتين بعد الفاتحة شيئاً . ولم يكن من هديه الالتفات في الصلاة . وفي « صحيح البخارى » أنه سئل عنه ، فقال : هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد ، وكان يفعله في الصلاة أحياناً لعارض لم يكن

(١) الرضف : الحجرات المحماة بالنار .

من فعله الراتب ، كالتفاتة إلى الشعب الذى بعث إليه الطليعة (١) والله أعلم . وكان يدعو بعد التشهد ، وقبل السلام ، ولذلك أمر به فى حديث أبى هريرة ، وحديث فضالة . وأما الدعاء بعد السلام مستقبل القبلة أو المأمومين ، فلم يكن ذلك من هديه وعامة الأدعية المتعلقة بالصلاة إنما فعلها فيها وأمر بها فيها . وهذا هو اللاتق بحال المصلى ، فإنه مقبل على ربه ، فإذا سلم زال ذلك . ثم كان عليه السلام يسلم عن يمينه : السلام عليكم ورحمة الله ، وعن يساره كذلك هذا كان فعله الراتب ، وروى عنه أنه كان يسلم تسليمه واحدة من تلقاء وجهه ، لكن لم يثبت ، وأجود ما فيه حديث عائشة وهو فى « السنن » ، لكنه فى قيام الليل ، وهو حديث معلول ، على أنه ليس صريحاً فى الاقتصار على التسليمة الواحدة . وكان يدعو فى صلاته فيقول : « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة الحيا والممات . اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم » . وكان يقول أيضاً : « اللهم اغفر لى ذنبي ، ووسع لى فى دارى ، وبارك لى فى ما رزقتنى » . وكان يقول : « اللهم إني أسألك الثبات فى الأمر ، والعزيمة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك ، وأسألك قلباً سليماً ، وأسألك لساناً صادقاً ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم . والمخفوظ فى أدعيته كلها فى الصلاة بلفظ الأفراد . وكان إذا قام فى الصلاة طأطأ رأسه ذكره أحمد ، وكان فى التشهد لا يجاوز بصره إشارته ، وقد جعل الله قرّة عينه ونعيمه فى الصلاة ، فكان يقول : « يا بلال أرحنا بالصلاة » ولم يشغله ذلك عن مراعاة المأمومين مع كمال حضور قلبه . وكان يدخل فى الصلاة ، هو يريد إطالتها ، فيسمع بكاء الصبي ، فيخففها مخافة أن يشق على أمه ، وكذلك كان يصلى الفرض وهو حامل أمامه بنت ابنته على عاتقه ، إذا قام حملها ، وإذا ركع وسجد وضعها . وكان يصلى فيجىء الحسن والحسين ، فيركبان على ظهره ، فيطيل السجدة كراهية أن يلقيه عن ظهره . وكان يصلى فتجىء عائشة ، فيمشى ، فيفتح لها ، ثم يرجع

(١) وكان ذلك فى صلاة الصبح ، وقد أرسل فارساً إلى الشعب من الليل يحرس .

إلى مصلاه . وكان يرد السلام بالإشارة (١) . وأما حديث (من أشار في صلاته فليعدّها ، فباطل . وكان ينفخ في صلاته ذكره أحمد وكان ينتخم فيها ، ويتنحج لحاجة . وكان يصلي حافياً تارة ، ومتعملاً أخرى (٢) وأمر بالصلاة في النعال مخالفة لليهود . وكان يصلي في الثوب الواحد تارة ، وفي الثوبين تارة وهو أكثر . وقنت في الفجر بعد الركوع شهراً ثم ترك ، وكان قنوته لعارض ، فلما زال تركه ، فكان هديه القنوت في النوازل خاصة ، وتركه عند علمها ، ولم يكن يخصصه بالفجر ، بل كان أكثر قنوته فيه لأجل ما يشرع فيه من الطول ، ولقربها من السحر وساعة الإجابة ، والتنزل الإلهي .

فصل

وثبت عنه عليه السلام أنه قال : (إنما أنا بشر أنسى كما تنسون ، فإذا نسيت فذكروني) وكان سهوّه من تمام النعمة على أمته ، وإكمال دينهم ، ليقنتوا به ، فقام من اثنتين في الرباعية . فلما قضى صلاته ، سجد قبل السلام ، فأخذ منه أن من ترك شيئاً من أجزاء الصلاة التي ليست بأركان سجد له قبل السلام ، وأخذ من بعض طرقه أنه إذا ترك ذلك ، وشرع في ركن لم يرجع . وسلم من ركعتين في إحدى صلاتي العشاء ، ثم تكلم ، ثم أتىها ، ثم سلم ، ثم سجد ، ثم سلم . وصلى وسلم ، وانصرف وقد بقي من الصلاة ركعة ، قال له طلحة : نسيت ركعة ، فرجع فدخل المسجد ، فأمر بلالا فأقام ، فصلى للناس ركعة ، ذكره أحمد . وصلى الظهر خمساً ، فقالوا : صليت خمساً ، فسجد بعد ما سلم . وصلى العصر ثلاثاً ثم دخل منزله ، فذكره الناس فخرج ، فصلى بهم ركعة ، ثم سلم ، ثم سجد ، ثم سلم . هذا مجموع ما حفظ عنه ، وهي خمسة مواضع . ولم يكن من هديه تغميض عينيه في الصلاة ، وكرهه أحمد وغيره ، وقالوا : هو من فعل اليهود ، وأباحه جماعة ، والصواب أن الفتح إن كان لا يخل بالحشوع ، فهو أفضل ، وإن حال بينه وبين الحشوع

(١) أحاديث رد السلام بالإشارة ، كثيرة وصريحة وقد تلقتها الأمة بالقبول ، وهي في السنن ، ورواه المستد ، ومع ذلك يقوم بالإنكار على من يجيز هذه السنة .
(٢) حديث أبو داود والبخاري وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .